الخط العربي والشكل والنقط

اقترح علينا جماعة من علماء مصر ووجهائها ان ندرج في المقتطف مقالةً في الخط العربي المتداول في هذه الايام واشتقاقهِ من الخط الكوفي واشتقاق الخط الكوفي من الحِمْيَري على ما تناقلتهُ اقلام الكتّاب منذ زمان طويل الى الآن . وان نبيّن في عرضها ما اذا كانت النقط على الحروف اصليةً وُضِعَت حين وضع الحروف او دخيلة وُضِعت بعد وضعها وان كان الثاني ففي اي زمان وُضِعَت هي والشكل ومن واضعها في الصحيح . فامعنّا النظر في ما قالهُ الكتبة الذين طرقوا هذا البحث قبلنا ثم توسّعنا فيهِ طمعًا بالاحاطة بهِ من كل اطرافهِ فتبين لنا ان المتداول والمنقول عنهُ لا يخلوان من نظرٍ وربما كان الصواب خلافهما كما يتضح مما يلي وهو خلاصة بحث طويل اقتصرنا على زبدتهِ لضيق المقام فنقول

المشهور عند الكتّاب ان الخط الشائع الذي نُقِلَت عنهُ حروف الطبع نقل عن الخط الكوفي في اواخر القرن الثالث للهجرة وان الخط الكوفي اشتُقّ او جُزِم من الخط الحِمْيَري المعروف بالمسند . اما الذين يقولون ان الخط المتعارف نقل عن الخط الكوفي فيستدلون على صحة قولهم بما ذكرهُ صاحب كشف الظنون وهذا نصهُ قال "ومن الوزراء الكتّاب ابو علي محمد بن علي بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ وهو اوّل من كتب الخط البديع . ثم ظهر صاحب الخط البديع علي بن هلال المعروف بابن البوّاب المتوفى سنة ٤١٣ ولم يوجد في المتقدمين من كتب مثلهُ ولا من قاربهُ وان كان ابن مقلة اوّل من نقل هذه الطريقة عن خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة ولهُ بذلك فضيلة السبق وخطهُ ايضًا في نهاية الحسن لكنّ ابن البوّاب هذّب طريقتهُ ونقحها وكساها حلاوةً وبهجةً" انتهى

فان كان مراد صاحب كشف الظنون من قولهِ ان ابن مقلة "هو اوّل من كتب الخط البديع" ان الخط البديع هو صورةٌ من الخط غير الخط الشائع اليوم فقد اخطأ الكتّاب المستدلون بقولهِ على ان ابن مقلة هو مبتدع الخط الشائع وحملوا كلامهُ على غير معناهُ اذ معناهُ ان ابن مقلة ابتدع صورة من الخط توهموا انها الخط الشائع وهي غيرهُ . وان كان مرادهُ بالخط البديع الخطّ الشائع فالمرجّح عندنا انهُ اخطأ هو والذين نقل عنهم وحمل غيرهُ على ارتكاب هذا الخطإ لان الخط الشائع كان مستعملًا قبل ابن مقلة ولم ينقل عن الخط الكوفي ودلائلنا على ذلك عديدة منها

اولاً ان الخط الشائع كان مستعملاً قبل زمان ابن مقلة ففي المكتبة الخديوية نسخة من الرسالة للامام الشافعي خطت سنة ٢٦٥ للهجرة وخطها اقرب الى الخط المتعارف الآن منهُ الى الخط الكوفي او هو بين الخط النسخي والخط المغربي وبعضهُ منقّط

ثانياً جاء في الصفحة ٥٢٢ من المجلد الثامن من المقتطف ما نصهُ "ثبت اليوم وجود الخط النسخي الشائع بيننا قبل زمان الهجرة خلافاً لمن يزعم ان ابن مقلة واضعهُ . ومن الدلائل القاطعة على ذلك وجودهُ منقوشاً على حجر في حرّان بالجزيرة ... في كتابة يونانية وعربية مؤرّخة سنة ٤٦٤ من تاريخ البصرى وفي سنة ٥٦٨ للمسيح . فثبت ان هذا الخط كان قبل زمان الهجرة باكثر من خمسين سنة" انتهى

هذان بعضٌ من الادلّة على ان الخط المتعارف لم ينقلهُ ابن مقلة عن الخط الكوفي خلافاً لما هو شائع . اما كون الخط الكوفي مجروماً من الخط الحِمْيري فلا دليل عليهِ ايضاً بل ان من يمعن النظر في الخطين لا يرى ادنى مشابهة بينهما وذلك يضعف القول الشائع او ينقضهُ . وقد رسمنا صورة الخط الحِمْيري في المجلد الاوّل من المقتطف وأعدنا رسم بعض حروفهِ هنا لزيادة الايضاح . والمطّلع عليها يرى مشابهة بينها وبين الخط الحبشي لا بينها وبين الكوفي

ا ب ت ث ج ح خ د ز ذ ر

اما من جهة الحركات والنقط فقال الجلال في المزهر ما نصهُ "ان اوّل من نقّط المصحف ابو الاسود الدوّلي" والظاهر انهُ اراد بالنقط الشكل فقد قال السيرافي نقلاً عن ابي عبيدة ان زياد ابن ابيه "بعث الى ابي الاسود الدوّلي ان اعمل شيئاً تكون فيهِ اماماً يتنع بهِ الناس ويعرب كتاب الله فاستعفاهُ من ذلك حتى سمع قارئاً يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسولهِ فقال ما ظننت ان امر الناس صار الى هذا فرجع الى زياد فقال انا افعل ما امر بهِ الامير فليبلغني كاتباً لنا يفعل ما اقول فأُتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضهِ فأُتي بآخر فقال لهُ ابو الاسود اذا

رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوق الحرف واذا ضممتُ في فانقط نقطةً بين يدي الحرف واذا كسرت في فاجعل النقطة تحت الحرف فان اتبعتُ ذلك بشيء من غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين". ذكرهُ المطرزي في الايضاح وابن خلكان في ترجمة ابي الاسود. وهو نص صريح على ان نقط ابي الاسود هي الحركات ولو كانت في صورها نقطاً. وقال ابن خلكان في ترجمة الحجاج نقلاً عن ابي احمد العسكري "ان الناس عيبوا ما يرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنهُ نيفًا واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق فنزع الحجاج بن يوسف الى كتّابهِ وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادًا وازواجًا وخالف بين اماكنها"

وقال صاحب كشف الظنون "ان الصدر الاوّل اخذ القرآن والحديث من افواه الرجال بالمشافهة ثم لما كثر اهل الاسلام اضطرّ الى وضع النقط والاعجام فقيل اوّل من وضع النقط مراد والاعجام عامر وقيل ابو الاسود الدؤلي بتلقين علي رضي الله تعالى عنهُ الاّ ان الظاهر انهما موضوعان مع الحروف اذ يبعد ان الحروف على تشابه صورها كانت عريّة عن النقط الى حين نقط المصحف" انتهى. وقولهُ الاخير وهو ان النقط والشكل موضوعان مع الحروف ان اراد بها الحروف الكوفية فمنقوض بدليل ان مصحف الامام جعفر الصادق الذي في المكتبة الخديوية مكتوب بالخط الكوفي على رق الغزال وكتابتهُ الاصلية خالية من النقط والشكل ثم أُضيف اليهِ النقط في زمان والشكل في زمان آخر كما يظهر من اختلاف لون الحبر. ونقطهُ خطوط دقيقة منحرفة كانها الفتحات والكسرات. وهناك دليل آخر اقوى من هذا وهو ان في المكتبة الخديوية مصحفًا آخر مكتوبًا بالخط الكوفي على رق الغزال والمظنون انهُ هو المصحف الذي أُرسل الى مصر في خلافة الامام عثمان وليس فيهِ نقط ولا شكل واذا ثبت انهُ من المصاحف التي أرسلها الامام عثمان الى الاقطار فهو الثمن كثير في الديار المصرية وهو حجّة قاطعة على ان الخط الكوفي كان يُستعمل اولاً بلا نقط ولا شكل كما كان يستعمل الخط السرياني بدونهما

وخلاصة ما تقدّم ان الخط المتعارف الآن قديم جدًّا وكان مستعملاً قبل الهجرة وان الخط الكوفي غير منقول عن الخط الحميري وان واضعي النقط والشكل على الخط الكوفي مختلف فيهما ولكن لا دليل على ان واضع الشكل ليس ابا الاسود الدؤلي وواضع النقط ليس الحجاج. وفوق كلّ ذي علم عليم